

تأثير الشعبوية على الديمقراطيات الغربية

م. م. محمود ياسين احمد

كلية العلوم السياسية، جامعة الانبار، الأنبار، 31001، العراق.

mahmood.yaseen@uoanbar.edu.iq

المخلص

تهدف الدراسة الى تبيان ما هو مفهوم الشعبوية كما تبيان تعريفات لأبرز المفكرين والباحثين في ذات الشأن وعلى الرغم من تعدد تلك التعريفات الا انه لم يكن هناك تعريف جامع لهذا المفهوم، وكيف تطورت الشعبوية تاريخياً، من خلال البحث في مراحل تطور الشعبوية. كما ايضاً تبيان كيف اثرت الشعبوية على الديمقراطيات الغربية من خلال الآثار التي خلفتها ظاهرة الشعبوية على تلك الديمقراطيات سواء كانت اثرا سياسية او اقتصادية، ومن خلال تبيان تلك الآثار تم التطرق الى نماذج من تأثير الشعبوية على الديمقراطيات الغربية، وقد تمت الدراسة على نموذجين الامريكي ونموذج الاتحاد الاوروبي.

الكلمات مفتاحية: الشعبوية، تاريخ الشعبوية، الديمقراطيات الغربية، نماذج.

The Influence of Populism on Western Democracies

Assist. Lect. Mahmoud Yassin Ahmed

Faculty of Political Sciences, University of Anbar, Anbar, 31001, Iraq.

mahmood.yaseen@uoanbar.edu.iq.

Abstract

The study aims to clarify the concept of populism, as well as to clarify the definitions of the most prominent thinkers and researchers in the same field. Despite the multiplicity of these definitions, there was no comprehensive definition of this concept, and how populism began historically, through research into the stages of the popular stage. It also explains how populism has affected Western democracies through the effects that the phenomenon of populism has had on those democracies, whether political or economic. In order to explain those effects, models of the impact of populism on Western democracies were addressed. Two models were studied: the American model and the European Union model.

Keywords: popularity, history of popularity, Western democracy, models.

المقدمة

تعد ظاهرة الشعبوية ظاهرة سياسية يشوبها الغموض، وتفتقر الى تعريف واضح ولهذا تعددت التعريفات بشأنها، فهي لا تقتصر على فئة معينة ولا على حزب ولا على نخب معينة، وهي ليست حكراً على نظام سياسي دون الآخر. ولهذا من الصعب تحديد تعريف واضح لدى المفكرين بشأنها. كما تعد ظاهرة متزايدة التأثير في مشهد السياسة الغربية في العقود الاخيرة. إذ تنسم بقدرتها على جذب دعم الجماهير الكبير من خلال رفع قضايا مباشرة وتحفيز مشاعر الغضب والاحباط تجاه المؤسسات التقليدية والنخب السياسية. وانتشرت هذه الظاهرة بشكل كبير في الديمقراطيات الغربية وباتت تشكل خطراً متنامياً في الانظمة السياسية الغربية والديمقراطية والليبرالية، وبدأت ايضاً في الولايات المتحدة الامريكية وانتشرت بشكل كبير وأصبح الخطاب الشعبوي هو السائد ولاسيما عند الرئيس الامريكي (ترامب).

اشكالية الدراسة

تنامت الشعبوية بشكل ملحوظ في المجتمعات الغربية لذلك ولدت مشكلات متعددة على الانظمة السياسية والديمقراطية، ولهذا تدور اشكالية الدراسة حول سؤال مركزي هو (هل أثرت الشعبوية بشكل كبير على الديمقراطيات الغربية؟) وهذا السؤال يتفرع الى عدة اسئلة هي:

- 1- ما مفهوم الشعبوية وتطورها التاريخي؟
- 2- ماهي الاثار الشعبوية على الديمقراطيات الغربية؟

فرضية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها (ان ظاهرة الشعبوية لها تأثير سياسي واقتصادي كبير على الديمقراطيات الغربية وانظمتها الديمقراطية والليبرالية).

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي في تحليل وفهم تأثير الشعبوية على الديمقراطية الغربية وكذلك المنهج التاريخي في معرفة السياقات التاريخية للشعبوية.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة الى معرفة مفهوم الشعبوية وكذلك سياقاتها التاريخية ومراحل تطورها، وكذلك تهدف الى معرفة تأثير السياسي والاقتصادي الذي تمارسه الشعبوية على الديمقراطيات الغربية، ثم تطرقت الى نماذج مختارة من تأثير ظاهرة الشعبوية على تلك الديمقراطيات.

المبحث الاول

مفهوم الشعبوية وتطورها التاريخي

ظاهرة الشعبوية ليست ظاهرة جديدة لكن تجلت أكثر في بدايات القرن التاسع عشر وانتشرت في أكثر من دول العالم، وهي كمفهوم غامض لا يوجد تعريف محدد انما تعددت التعريفات بشأنها، وينقسم هذا المبحث الى مطلبين يشمل المطلب الاول مفهوم الشعبوية اما المطلب الثاني يشمل تطورها التاريخي.

المطلب الأول

مفهوم الشعبوية

ظاهرة الشعبوية من الناحية السياسية هي نمط في الخطاب السياسي، يتدخل فيه المستويان الخطابي والسلوكي بشكل وثيق، وقد يتفاعل هذا الخطاب مع عفوية تقوم على مزاج سياسي غاضب لجمهور فقد الثقة بالنظام والاحزاب السياسية القائمة والنخب الحاكمة، كما يوظف استراتيجية سياسية في مخاطبة هذا المزاج، هادفة الى احداث تغيير سياسي عبر الوصول الى الحكم ويتحول هذا الخطاب الى ايديولوجيا في الحالات المتطرفة [1].

كما أحدثت الشعبوية نقلة نوعية إذ انتشرت بين احزاب اليمين المتطرف هذا ما كان يفسر الشعبوية على انها ايديولوجية، وحسب تعريف (مولر) فإن الشعبوية (ايديولوجية سياسية تشكك في شرعية النخب السياسية من خلال الادعاء بانها الممثل الحقيقي والوحيد للشعب، ومن ثم يميل الشعبويون الى تقويض التعددية السياسية من خلال التشكيك في شرعية منا فيهم) [2].

ويرى كثير من الباحثين بأن الشعبوية مرض يناقض الديمقراطية الليبرالية، التي تعرف على انها عملية مؤسسية لاتخاذ القرارات السياسية التي تمثل الخير العام، من خلال انتخاب اشخاص يعملون لتحقيق ارادة الشعب، وبعضهم برأ الديمقراطية الغربية من آفة اليمين الشعبوي التي تلقى مجالاً صغيراً للعيش في هذه المجتمعات، وهي بالنسبة الى علماء السياسة في الغرب مرض يظهر في الازمات واعادة ما تحال هذه الازمات الى ازمات الحداثة المختلفة، مثل العولمة، والمجتمع ما بعد الصناعة، والاقتصاد ما بعد الفوردي أي ان هذه التفسيرات تحيل الشعبوية الى حركة تظاهر من هم في موقع الخاسر من نظام الحداثة القابضين من هذا النظام لعدم تلبية مطالبهم وتطلعاتهم[3].

ولقد قسم العلماء مثل كانوفان ومودي وستانلي ومولر الشعبوية الى بعدين، الاول البعد الفكري في التعامل مع الشعبوية وقد حددوا السمات الآتية باعتبارها سمة مميزة للايديولوجية الشعبوية: اختزال الطبق الايديولوجي على المعارضة السياسية بين الشعب النقي والنخبة الفاسدة والدفاع عن فكرة متجانسة من الشعب ومبدأ الاستمرار للسيادة الشعبية وضعف الايديولوجية. اما النهج الثاني الذي

يركز على أسلوب الشكلي/الاسلوبي للشعبوية وبنظر في كيفية صياغة الايديولوجية الشعبوية، ويشمل رموزا التي يتبعها الشعبويون، فضلا عن الطرق التي يمارسون بها دورهم السياسي مثل كيف يستفزون الناخبين ويحشدونهم ويمثلونهم [4].

وفي تعريف (جبن مانسبريدج) للشعبوية يوضح على انها كلمة الشعب عامة الناس ولكنها تترك هويتهم الدقيقة مفتوحة. والسؤال حول من يشملهم الشعب محل نزاع كبير في تاريخ الفكر السياسي، فهو يشمل في كثير من الاحيان المواطنين بالكامل او عامة الناس بالنسبة لمنظري الشعبوية، هذا يعني ان المواطن العادي او الرجل المزارع من اختلاف الهوية المحددة. وفي الولايات المتحدة الامريكية ان الشعبوية الاصلية كان الشعب يشير الى منتجي السلع هي فئة المزارعين والمستأجرين والعمال واصحاب الاعمال الصغيرة وسكان الريف والحضر. منذ ذلك الحين يعني الشعب غالب المجتهدين والمضطهدين على نقيض النخبة الاقتصادية والسياسية والثقافية [5].

ومما تقدم يتبين لنا ان ما يجمع معظم دعاة الشعبوية هو مقاربتهم التبسيطية في استعمالهم لمفردة الشعب وادعائهم انهم صوت الشعب مع احتكارهم لتمثيله من دون مراعاة مفاهيم التفويض والتعاقد الاجتماعي فضلا عن تركيزهم على خطاب عاطفي لا يستند بالضرورة الى اسس موضوعية دقيقة فيكون الخطاب مبسط عاطفيا ويميل الى اثارة الحماس والهلب المشاعر ليتماشى مع المزاج المجتمعي السائد دون الاخذ بنظر الاعتبار اذا كان يجدي نفعا في ايجاد حلول جديدة للمشاكل الواقعية، وهنا يتجسد جوهر الشعبوية في ذلك التلاعب بالعقول والمشاعر الذي يقوم به السياسي تجاه الشعب او اكثرياته بهدف تحقيق مجموعة مصالح خاصة، فالشعبوية تشير الى استغلاله من قبل احزاب وشخصيات سياسية معينة ممن يدعون كونهم المتحدثين باسم الشعب بينما هم يعبرون عن مصالح الطبقات التي يمثلونها [6].

المطلب الثاني

التطور التاريخي للشعبوية

مرت الشعبوية من خلال تجاربها السياسية بمنعطفات عدة اولها ما يعرف بالـ (الديماغوجية) وقد ظهرت تحذيرات من قبل الفلاسفة في بعض الديمقراطيات القديمة وصولاً الى الحديثة منها، وتجلت بشكل واضح في الديمقراطيات الديماغوجية وهي وفقاً لأرسطو ديمقراطية تتجاوز فيها القرارات الجمعية القانون والفصيل الشعبي يأخذ نصيب الاعلى في الحكومة كجائزة انتصار ويحرضهم زعيم الشعب الديماغوجية على السعي وراء الاستبداد من خلال الخطاب المفرط واللعب على رغبات الناس ومخاوفهم. اما جمهورية افلاطون فقد عد الشعب بأنهم (الغوغاء المطيعون) وقد وضعوا رجلاً كزعيم خاص بهم وجعلوه يصبح عظيماً، حيث تأخذ الجماهير ممتلكات الاثرياء وهم اعداء الشعب لإعادة توزيعها فيما بينهم [6]. ومن خلال ذلك فأنها تاريخ الشعبوية مر بثلاث مراحل وهي [7]:

المرحلة الأولى: شكلت هذه المرحلة بداية الشعبوية الروسية في أعوام (1870-1880)، التي جسدت في حركة من المتقنين والشباب المتحدرين من الطبقات الميسورة وحتى الارستقراطية نفدت مشاريع تحديث البلاد على الطريقة الغربية وأطلقت مشروعاً (للاتحاد بالشعب) كما قول اعضائها، وكان اتباع هذه الحركة ان الفلاحين في روسيا سيشكلون قوة تجديد مماثلة لتلك التي كان الغرب ينتظرها آنذاك من البروليتاريا. لقد تعلق الامر بما يمكننا تسميته "شعبوية النخبة" التي لم تحشد قط الجماهير الشعبية ذاتها. ولكن هذه الحركة تركت أثراً لافتاً إذ إن بعض أقطاب الفوضوية والماركسية الروسية قد خطوا خطوتهم الاولى في رحابها.

المرحلة الثانية: بعد عقد من الزمن ظهر في امريكا "حزب الشعب" الذي لقب مؤيدوه بالشعبيين، وقد عمد الحزب الى تحشيد صغار الفلاحين في السهول الكبرى، ضد شركات السكك الحديد وضد البنوك التي كانوا مدينين لها، وعرف الحزب نجاحاً في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر ولكنه لم يوفق على المستوى الوطني لفساد الطبقة السياسية ودعوته الى اعتماد ديمقراطية أكثر مباشرة. ولقد كان هذا الحزب حركة شعبية ولكنه ظل مشدوداً الى عالم زراعي محدود جغرافياً، ولم يتمكن من ان يشق له طريقاً الى الاوساط الانتخابية العمالية.

المرحلة الثالثة: ظهرت الشعبوية في اوروبا في مطلع القرن العشرين تزامن ذلك مع ظهور الانظمة الغير ديمقراطية، إذ كان ذلك مع التوسع الاستعماري لتلك الدول (كألمانيا في حكم هتلر) من خلال نمو القومية العرقية التي كشفت عن الكساد والانقسامات الايديولوجية اثناء الحرب العالمية الاولى، مما ادى الى نمو الانظمة النازية والفاشية [8]. وفي حقبة ما بين الحربين العالميتين أخذت الشعبوية بالتجذر تحت تأثير أزمة الكساد الكبير، فقد كان هناك من جهة أولى جانب الاذلال الذي كان الشعور به أكثر حضوراً في بعض البلدان، كما كان هناك تفكك اجتماعي من جهة أخرى يؤلف بين الاحباط الاجتماعي والرغبة في السلطة ويوحدهما الامر

الذي جعل تقديس الرئيس بلا حدود، والتوجهات العرقية وأضحت راديكالية متجذرة، حتى ان اصداها اخذت بالاتساع لتبلغ أميركا اللاتينية [9].

وفي هذا السياق، اخذت الشعبوية تزداد رسوخاً في العالم الغربي مع بداية القرن الواحد والعشرين، وضمن إطار زعزعة استقرار العولمة والتحركات الديموغرافية الكبرى ولاسيما الناتجة منها بفعل موجات اللاجئين والهجرات الدولية نحو اوربا وامريكا الشمالية. فالشعبوية المعاصرة تعيش موجتها التاريخية الرابعة، وهي مختلف تماماً عن الموجات السابقة وتتخطى حدود مختلف الاقاليم والثقافات. إذ انها تمتد لتشمل الانظمة الديمقراطية والانظمة الاستبدادية، وفي دول الشمال كما في دول الجنوب. وتكاد تتبلور بعامة حول الخوف من ظاهرة العولمة بوصفها السبب المركزي للازمات الاقتصادية والسياسية والكوارث البيئية. أي ان نقد العولمة ومناهضتها هو الذي يمد الموجة الرابعة بأسباب الحياة والانتشار [10].

المبحث الثاني

ظاهرة الشعبوية وآثارها على الديمقراطيات الغربية

شكلت الشعبوية تأثيراً واضحاً على الديمقراطيات الغربية وعلى انظمتها السياسية وهذا التأثير سوف نتناوله من خلال مطلبين، يشمل المطلب الأول الآثار السياسية، بينما يشمل المطلب الثاني الآثار الاقتصادية.

المطلب الأول

الآثار السياسية

ظهرت الشعبوية كرد فعل على الديمقراطية باعتبار ان المؤسسات السياسية الديمقراطية وحتى الديكتاتورية غير قادرة على الاستجابة لاحتياجاتهم ومطالبهم، وهو ما نتج عنه دعمهم للشعبوية كرد فعل لدعم الحركات المعارضة مما ساهم في صعود اليمين الشعبوي في جميع انحاء اوربا، وهنا تبرز اشكالية الخطر الذي شكله او قد يشكله صعود الشعبوية، فصعودها قد نشأ على عيوب الديمقراطية. ويرى البعض ان الشعبوية تهدد استقرار الديمقراطية باعتبارها نوع جديد من الفاشية وبين ما يراها علامة على المرونة الديمقراطية لتصحيحها وجعل الانظمة السياسية أكثر ديمقراطية، ضمن هذا الإطار تبرز قاعدة البيانات العالمية التي تحمل عنوان "الشعبوية في السلطة 1990-2018" التي تقيس تأثير الشعبوية السابقة على الديمقراطية [11].

وكما يعتقد (عبد الاله بلقزيز) ان الشعبوية ترادف الفوضوية والعفوية التنظيمية والتجريبية القاتلة في التفكير، وهي جميعها امراض لازمت العمل السياسي منذ القرن التاسع عشر في الغرب، فانتجت حالات سياسية باتولوجية من طراز الفوضوية النقابية، وان اسوء ما في الشعبوية أنها تؤسس لميتافيزيقا سياسية جديدة، بل قل لاهوت سياسي جديد، هو لاهوت الشعب، لذا يمكن القول ان الخطاب الشعبوية يتألف من الآراء المعادية للنخبوية، ومعارضة المؤسسة الحاكمة، والتحدث الى عامة الشعب [12]. كما حذر ارسطو من الخطر الذي تمثله العناصر والممارسات الغوغائية (الديماغوجية)، والتي تؤدي الى حكم الغوغاء او الرعاع، الذي يظهر عند تدهور نظام الحكم الديمقراطي او الدستوري. فظهر حزب الشعب في نهاية العقد الاخير من القرن التاسع عشر الذي عرف باسم الحزب الشعبي والشعوبيين في الولايات المتحدة، كان قوامه من المزارعين الذين تضررت مصالحهم الاقتصادية فنشأ الحزب لتمثيلها والدفاع عنها، وحركة الناردنيك في روسيا التي اعتمدت ايضا على المزارعين الذين واجهوا وضعاً اقتصادياً مشابهاً، واتصفت تلك التحركات بمعاداة المؤسسات النظام الديمقراطي ونخبة الليبرالية، وجادلت بتمثيلها بسطاء الناس والمهمشين ومصالح الوطن [13].

كما ان ظهور الشعبوية هو جزء من معادلة فشل النخب السياسية، ومن هنا يمكن تفهم تميز الخطاب الشعبوي بالتبسيط للقضايا المعقدة، وطغيان العاطفة وخلق عدو افتراضي يتم تطهير السياسي، ومن هنا فإن من أكثر مخاطر الشعبوية تحويلها لفصيل سياسي، الى ممثل لصوت الشعب، وبالتالي انزلاقها الى ما يعرف ب التحيز السياسي، كما ان اشتغالها في فترات الازمات كالحروب الازمات الاقتصادية يجعلها تستغل النتائج، وبالتالي تحاول السيطرة على المشهد برمته، باعتبار انها الممثلة الوحيدة للإرادة الشعبية [14].

المطلب الثاني

الآثار الاقتصادية

لقد أخذ التيار الفكري للشعبوية منذ بدايات القرن التاسع عشر يناهض الانتاج المتمركز وذو النطاق الواسع، وراح يساند نموذجاً من التنمية يقوم على منشآت اقتصادية فردية وذات نطاق محدود في مجال الصناعة والزراعة [15]. كما يتضمن الخطاب الشعبوي معاداة العولمة من خلال التركيز على الخاسرين في العولمة في مسائل الدخل والسكن وتأمين الوظائف ومزايا الرعاية الاجتماعية

وغيرها، وتدعى الشعبوية ان العولمة تولد اشكالا جديدة من التفاوت بين الدول، فتوسع الانقسامات الحالية بين رأس مال والعمالة، وبين العمالة الماهرة والغير الماهرة، وبين اصحاب العمل والعمال، وبين المنتجين على مستوى العالمي والمنتجين المحليين [16]. فالحروب التجارية التي شنتها الولايات المتحدة ضد الصين، وتزايد سياساتها الحمائية، فضلاً عن المزيد من الاجراءات الانعزالية في مختلف المجالات، كلها عوامل تعزز المخاوف من احتمال توقف تفاعلات العولمة او حتى تراجعها. وامكانية تفككه الى مناطق أصغر ذات تكامل اقتصادي محدود، فضلاً عن احتمال تحلل الانترنت الى شبكات داخلية مغلقة، او ان تصبح التقنيات التكنولوجية المستقبلية اقل طابعاً عالمياً مع قيام العديد من المناطق بتطوير معاييرها الخاصة للنمو والتنمية وفقاً لقيمتها وهويتها. كما يؤدي هذا التحول الى تخصيص رأس مال بكفاءة أقل وتقليص حجم الانشطة الاقتصادية العالمية، فقد تم اتخاذ خطوات رئيسية لدمج الدول والاقتصاديات في كتلتا اقليمية متنوعة داخل النظام السياسي الاقمت لم يعد تفكيكها يوفر سوى فوائد محدودة مقارنة بتكاليفه المتزايدة. ولهد فإن الشعبوية قد تبطئ عملية العولمة او تعيد تشكيلها بشكل يتوافق مع مصالح الدول الكبرى التي تسعى على الدوام لاستمرار هيمنتها العالمية وبكل الوسائل المتاحة [16].

جاءت النيوليبرالية بعد نهاية الحرب الباردة كمخرج لازمة رأس مال التي اخذت شكل الركود التضخمي الذي كانت منه دول العالم الاول. فكان الحل الانسب امام رأس المال العالمي تحول من نمط إنتاج لفائض القيمة بتركز في الانتاج الصناعي للسلع، الى رأس مال مالي ينتج القيمة من السلع مالية، فانتقلت السياسات الاقتصادية الى الدول الغربية من سياسات كثرية توجب الدولة على تقديم شبكة من الرعاية الاجتماعية، الى سياسات نيو ليبرالية تحرر الاسواق المالية والصناعية والتجارية داخلياً وخارجياً، تعتمد هذه السياسات تخفيض الاستثمار العام والضرائب وتضخم الدين العام والخاص، لتبعد الدولة عن واجبها في الرعاية الاجتماعية. فتكون تلك السياسات النيوليبرالية ليست إلا تحفيز لقدرة رأس مال المالي على اعادة انتاج فائض القيمة مع السلع المالية. تأتي الشعبوية لمحاولة ردم لتلك الفجوة وعادة تلك التيارات الشعبوية في لحظات تأرج أزمات النيوليبرالية [17].

ومن خلال ما تقدم شكل الحكم الشعبوي الآثار على الاقتصاد لأنه يتجاهل عادة قيوداً على الميزانية الصارمة وحواجز السوق، كما الرفع المؤقت للاقتصاد بقيادة حكومة منقذة لرفع معنويات الناخبين ورفاههم مؤقتاً، ومع ذلك فإن نفس الحكومة الشعبوية تجعل نفس الناخبين أسوأ حالاً على المدى الطويل. وهي تفعل ذلك من خلال إنفاق أكثر بكثير مما تستطيع تحمله، وإخضاع البنك المركزي والتضخم الاسعار واشغال فتيال ازمات سعر الصرف والازمات المالية [18].

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية للآثار الناجمة عن الشعبوية (دراسة حالة)

من خلال ما تقدم في دراستنا السابقة عن الآثار الناجمة عن الشعبوية وكيف اثرت الشعبوية على الدول الغربية، في هذا المبحث سنعرض النماذج من آثار الناجمة من الشعبوية وينقسم الى نموذجين، النموذج الاول الامريكي، والنموذج الثاني الاتحاد الاوروبي.

المطلب الأول

النموذج الأمريكي

عرفت الولايات المتحدة الامريكية ظاهرة الشعبوية منذ تأسيسها في نهايات القرن الثامن عشر لكنها بدأت في الظهور بصورة منظمة على شكل حركة يمينية في بداية القرن التاسع عشر وتم بناء اول تحالف سياسي دائم في امريكا على خلفية حركة شعبية من قبل المزارعين ضد ما اعتبروه قيادة سياسية نخبوية مكرسة للتجارة الحضرية والمصالح المصرفية [6]. كما ان المزارعين الذين يعملون بجد وغيرهم من صغار المنتجين هم العمود الفقري للمجتمع الأمريكي، ويمكن تفسير الشعبوية الامريكية في جذورها التاريخية بأنها مقاومة للتقدم والتمدن الذي هدد بتدمير هذه الاسطورة الشعبية، مع اختفاء المزارع المستقل الذي تميزت الولايات المتحدة الامريكية في القرن التاسع عشر، نتيجة للتقدم في الماكينة الزراعية والتجارية، وانتقل الى جيل جديد من الزراعة الى المدن، لتشكل طبقة عاملة جديدة وتمدنية من اصحاب المتاجرة الصغيرة والعمال والصناعيين، ومثل ما اعتمدت الشعبوية الزراعية المبكرة في الولايات المتحدة الامريكية على تفوق المزارعين في المجتمع، تعتمد الشعبوية الحديثة على فكرة ان للطبقات الوسطى البيضاء دور كبير على تشكيل المجتمع الأمريكي [19].

كما ان ظهور الشعبوية في سياق نتائج الحرب الاهلية الامريكية، قد ساعد على تعاضدها في الظروف الاجتماعية التي فرزها التصنيع والانتشار الاقتصادي مع تردي سمعة السياسيين، وهو ما تكلم بتقديم مرشح للحزب الشعبوي في الانتخابات 1892، كما قاد الغضب الجماهيري امام هذه التفاوتات الى رفض كل من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، غير ان فشل المرشح في الفوز شكل ضربة قاتلة للشعبوية عموماً ولزعاماتها دون ان تختفي، حيث ان برنامج الجديد لفرانكلين روزفلت شكل نوعاً من الاعتراف

بالمطالب الشعبية التي رفقتها الحركات الشعبية ضد التجاوزات. وسنوات بعد ذلك، سيقوم رونالد ريغان بتركيب جديد ومتناقض بين الليبرالية والشعبوية في خلال نقد جذري للدولة الراعية باسم حقوق الضعفاء والمعوزين، والذين تغتصب مداخلهم من طرف بنيات وسطية طفيلية [20].

وفي القرن الواحد والعشرين شكلت الشعبية موجه شديدة بظهور حزب الشاي في عام 2009، وعد ظهور هذه الموجة بأنه من أكثر التطورات المثيرة للجدل في السياسة الأمريكية منذ سنوات عدة [9]. وبعد حزب الشاي حركة شعبية محافظة نشطت في مواجهة سياسات الرئيس الأمريكي السابق باراك اوباما الاجتماعية والاقتصادية، وقد ركز الحزب على مجموعة من الخرافات ونظريات المؤامرة حول باراك اوباما، دافعاً الحزب الجمهوري الى الليبرالية [21]. وقد تصاعدت الشعبية في السياسة الأمريكية لاسيما مع صعود ترامب الى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية (2017-2021)، فقد استخدمه الخطاب الشعبوي في الانتخابات عام 2016 والوصول الى البيت الابيض. ذلك يمكن القول ان التوجهات التي يعكسها ترامب ليست غريبة عن المجتمع الأمريكي، بل تمثل توجهات التيار اليميني الجديد الذي تشكل في الولايات المتحدة في اعقاب الحرب العالمية الثانية [19]. وعلى الرغم من فوز جوزيف بايدن في انتخابات 2021 لكن أكثر من 74 مليون أمريكي دعموا ترامب، اذ ترسخت افكاره عند عدد كبير من المناصرين الذين يرون في الولايات المتحدة (محافظة المسيحية) عبر الخطاب المناهض لغير المسيحيين البيض والرافضين لحقوق الاقليات [6]. كما حقق دونالد ترامب فوزاً كبيراً في الانتخابات الأخيرة على منافسة كامالا هاريس، كما استخدم خطاباته الشعبية في نجاح حملته الانتخابية في فرض الاقتصاد والهجرة غير الشرعية بوصفهما أبرز القضايا التي تمحورت حولها الانتخابات. ولم يفز ترامب بأصوات المجمع الانتخابي فحسب، بل تقدم كذلك بالأصوات الشعبية [22].

المطلب الثاني

نموذج الاتحاد الاوربي

اتخذت الشعبية الأوروبية اتجاهات متباينة زمانياً ومكانياً، أي انها مرت بلحظة صعود كبير تلاها تراجع عن هذه الطفرة مع استمرار الصعود النسبي في بعض الدول. فضلاً عن التباين المكاني، بسقوط الشعبية في بعض الدول وصعودها في دول أخرى [23]. وفي اوائل القرن التاسع عشر ظهرت الشعبية في أوروبا خلال التحول الصناعي، وقد كانت تمثل انتقاداً للتحول الصناعي الرأسمالي، وتستند بشكل أساسي الى أسس اجتماعية واخلاقية. كما دعا الشعبويون الى ان الكلف الاجتماعية للتحول الصناعي الرأسمالي غير مقبولة، وتؤدي الى التشكيك في فوائدها. لقد كان معظم الشعبويين في القرن التاسع عشر، من الذين كانوا يعارضون الرأسمالية، ويعبرون عن أنفسهم بالاشتراكيين بشكل او بآخر [15].

وتتميز الشعبية الأوروبية فيما يأتي [24]:

أولاً: التشديد على حكم الاغلبية غير المقيد بقيود الليبرالية، ونقد النخب غير المنتجة التي تقيد الديمقراطية مثل القضاة، وايضاً المؤسسات التمثيلية التي تحد من المشاركة الشعبية. ومن هنا أيضاً تبرير دعوة اليمين الاوربي الشعبوي المتعلقة باللجوء الى الاستفتاءات، والمطالبة بمنع القضاة من التدخل في قرارات الاغلبية بحجة غير دستورية.

ثانياً: نقد الاحزاب القائمة، إذ تتميز الحركات الشعبية في أوروبا بتنظيم لا يماثل التنظيمات الحزبية من خلال الالتفات حول شخص او مجموعة أشخاص وبوجود شبكات شعبية رخوة التنظيم حولها، وبالطبع هناك استفتاءات لأحزاب يمينية منظمة تبنت خطايا شعبوية مثل حزب الحرية في هولندا وحزب فورزا إيطاليا، وهي حركات غير منظمة حزبياً بشكل تقليدي خلافاً مثلاً لحزب رابطة الشمال الاطلسي.

ثالثاً: ما يميز الشعبية في أوروبا هو رفض العولمة الرأسمالية، ولا سيما في حالة اليسار الشعبوي وان كانت تلتقي مع اليمين الذي يعتبر العولمة وتجاوز الحدود الوطنية خطراً على الثقافة القومية.

شكل تراجع الايديولوجيات الكبرى كالليبرالية والاشتراكية، نتيجة الى المخاطر الشعبية التي اصبحت تخيم على أوروبا، لكن هذا التخوف بات يتصاعد ويقلق الاوساط الخبيرة في أوروبا، إذ باتت العديد من الجهات والاطراف ذات العلاقة تلتمس خطرها، ولاسيما بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الاوربي وتنامي الموجة (اليمينية المعادية للأجانب)، كما ان هذه المخاوف توجت خلال فترة حكم إدارة ترامب. وهذه المخاطر تؤثر على فرص الاتحاد الاوربي في وضع سياسات لمواجهة تنامي ومستقبل هذا التيارات الشعبية [25].

الخاتمة

تعد الشعبوية من الظواهر السياسية التي لها تأثير كبير على الديمقراطيات الغربية، لان الشعبوية دائماً ما تتسم بالخطاب الذي يركز على استياء الجماهير من النخب السياسية والاقتصادية، ويمكن ان يؤدي الى تغيرات في السياسات والنظام السياسي. لكن رغم ذلك قد أدت الشعبوية الى تعزيز الوعي بالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وزيادة المشاركة السياسية. ومع ذلك، فإنها قد تهدد المبادئ الديمقراطية إذ أدت الى تقويض المؤسسات الديمقراطية، تهميش الاقليات او تزايد الانقسامات الاجتماعية، كما انها ذات خطاب عنصري متطرف.

وتؤدي الشعبوية الى تآكل الديمقراطية الاوروبية وقيمها التي بدأ الاتحاد الاوروبي منذ الخمسينات تأسيسها، إذ ان الشعبويين يهاجمون الاتحاد الاوروبي باعتباره محرك للعولمة، وليس نتاجا لها، بينما السياسات المجتمعية الاوروبية المعتدلة تسعى الى المشاركة في العولمة ودعم الانفتاح، والحفاظ على التضامن والتماسك الاجتماعي. وبالتالي فإن تأثير الشعبوية واضح على الصعيد الغربي وله تأثير كبير.

المصادر

- [1] بشارة، عزمي، (2019)، في الاجابة عن السؤال ما الشعبوية؟، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- [2] داود، وفاء علي، (2023) "الشعبوية المعاصرة في تونس ديمقراطية او هجين تسلطي"، مجلة الدراسات السياسية والاقتصادية، العدد (1)، كلية الاقتصاد، جامعة السويس، مصر، السنة الثالثة.
- [3] عايش، عبد الله، (2020)، تأثير الشعبوية على المواطنة وقضية اللاجئين، في كتاب الشعبوية والخطاب البديل تحولات المنطقة العربية، دار المرايا للإنتاج الثقافي، القاهرة.
- [4] Ballacci, G., & Goodman, R. (2023). Populism as form and content: Toward a holistic approach. *Populism*, 6(1), 1-27.
- [5] Mansbridge, J., & Macedo, S. (2019). Populism and democratic theory. *Annual Review of Law and Social Science*, 15(1), 59-77.
- [6] مهدي، اسيل صالح، (2023)، "إثر الشعبوية في النظام السياسي الأمريكي". مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، العدد (21)، جامعة العراقية، بغداد، السنة الخامسة.
- [7] ببير، روزانفالون، (2022)، قرن من الشعبوية: التاريخ والنظرية والنقد، ترجمة محمد الرحمني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- [8] البربري، علا عطية عيسى، (2024)، الشعبوية واسباب ظهورها، مركز شاف للدراسات المستقبلية وتحليل الازمات والصراعات الشرق الاوسط وافريقيا.
- [9] مهدي، مهند حميد، (2022)، صعود اليمين الشعبوي الاميركي والتأثير في منظومة العلاقات الاقتصادية الدولية، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- [10] مجيد، عبد الحميد العيد وحسام الدين علي، (2020) "الشعبوية في الشرق الاوسط ماهية الخطاب وخصائصه المقارنة"، مجلة العلوم السياسية، العدد (58)، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، بغداد.
- [11] غريب، مداني ليلي وحكيم، (2021)، "تراجع جودة الديمقراطية في العالم وخاطر صعود الشعبوية"، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد (4)، المجلد (13)، السنة (13)، مركز السنبلة والدراسات، الاردن.
- [12] هادي، حسين عدنان، (2020) "الشعبوية في الولايات المتحدة الامريكية انحسار؟ ام صعود مؤجل؟"، مجلة حمورابي، العدد (16)، السنة (9)، مركز حمورابي للبحوث والدراسات، العراق.
- [13] هلال، على الدين، (2019)، ازمة الانظمة الفكرية الكبرى المعاصرة: الديمقراطية الليبرالية والرأسمالية والشعبوية"، مجلة التفاهم، العدد (63)، المجلد (17)، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، الاردن.
- [14] الديني، يوسف، (2017)، "ماذا تعني الشعبوية"، مجلة اتجاهات الاحداث، العدد (19)، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الامارات.
- [15] موثقي، احمد، (2022)، الشعبوية السياسية وظروفها التاريخية والاجتماعية، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، العراق، ص8.
- [16] محسن، هاشم عبد المطلب، (2025)، أثر الشعبوية في العلاقات الدولية: تحليل الخطاب والهوية من المنظور البنائي، مركز البيان للدراسات والتخطيط، ورقة بحثية، العراق.
- [17] نادين، عبد الله واخرون، (2020)، الشعبوية والخطاب البديل: تحولات المنطقة العربية، دار المرايا للنشر، القاهرة.
- [18] STANKOV, P. (2022). THE ECONOMIC CONSEQUENCES OF POPULISM.
- [19] ابو صليب، فيصل مخطط، (2023)، الشعبوية في السياسة الامريكية: حالة ادارة الرئيس دونالد ترامب (2017-2021)، مجلة سياسات عربية، العددان (64-65)، المجلد (8)، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.

- [20] الزين، عبد الفتاح، (2019)، الشعبية وظواهرها في المجتمع والدولة"، مجلة التفاهم، العدد (65)، مجلد (17)، وزارة الوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.
- [21] خلف، حسين مزهر، (2023)، جذور وتطور ظاهرة الشعبية في الحياة السياسية الامريكية وأثرها في صنع القرار السياسي"، مجلة حمورابي للدراسات، العدد (47)، السنة (12)، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد.
- [22] الانتخابات الرئاسية الامريكية: اسباب فوز ترامب والتداعيات المحتملة، (2024)، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقرير موقف، قطر.
- [23] ابو العلا، عبد المجيد، (2023)، اتجاهات متباينة: هل تتراجع مخاطر الشعبية في اوروبا، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.
- [24] بشارة، عزمي، (2019)، الشعبية والازمة الدائمة للديمقراطية، مجلة سياسات عربية، العدد (40)، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر.
- [25] عبد المنعم، مروة محمد، (2022)، "الاحزاب الشعبية ومستقبل الديمقراطية (دراسة في التنافس الحزبي في بعض دول الاتحاد الاوروبي)، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية والتربوية، العدد (33)، المجلد (33)، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، مصر.